

السُّنَنُ وَالْأَشْرَارُ  
فِي النَّبِيِّ عَنِ التَّشْبِيهِ بِالْكَفَّارِ

# بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

جَمِيعَ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةً

الطَّبَعَةُ الْأُولَى

١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

الناشر

دار السلف للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

هاتف ٤٢٥٨٥٥٤ - ص.ب ٥٢٣٦٥ - الرمز البريدي ١١٥٦٣

# السُّنَنُ وَالْإِشَارَاتُ

فِي النَّهْيِ عَنِ التَّشْبِيهِ بِالْكَفَّارِ

جَمَعَ وَدَرَسَتْهُ وَتَحْقِيقَ

سَهِيلِ حَسَنِ عَبْدِ الْغَفَّارِ

أَبْتِاذٍ مَسَاعِدٍ بِالْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ  
بِاسْلَامْ أَبَاد - بَاكْسْتَان

تَدَارُ السَّلَفِ

«هذا الكتاب»

رسالة علمية تقدّم بها المؤلف لنيل درجة التخصص الأولى  
(الماجستير) من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة قسم الدراسات العليا -  
شعبة السنة .

وقد منح المؤلف عليها درجة (الماجستير) بتقدير ممتاز تحت إشراف  
الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري وذلك في عام ١٤٠٠ هـ - ١٤٠١ هـ .

## بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.  
أما بعد:

فإن الله قد أرسل رسوله بشيراً ونذيراً وهادياً إلى الصراط المستقيم وأنزل عليه الكتاب ليكون سراجاً منيراً، لينير الطريق أمام البشرية العمياء ويهديهم إلى سواء السبيل.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١)

ولقد بين الكتاب والسته، الصحيح من الخطأ والغث من السمين لكيلا يحيد المسلمون عن طريق السوى ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

وإن من المؤسف أن نجد المسلمين اليوم في غفلة عن كتاب ربهم

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٤.

وفي رغبة عن سنة نبيهم، ونجدهم يتجهون سراعاً إلى متاع الدنيا واتباع خطوات الشيطان، والوقوع في حبايله.

وعندما اشتغل المسلمون بحطام الدنيا واللهو واللعب وتركوا الجهاد سلط الله عليهم الذل والصغار وتغلب عليهم أعداؤهم، فأحاطهم الصليبيون من كل جانب وقبل أمد ليس ببعيد كان جميع بلاد المسلمين تن تحت وطأة الاستعمار، وما زالت بعض بلاد المسلمين تستنجد لتستعيد حررتها، فهذه أفغانستان أمامكم وما القدس منكم ببعيد.

أما البلدان التي تركها الاستعمار فلم تتغير فيها الأوضاع إذ الحكم حكمهم والاقتصاد اقتصادهم والسياسة سياستهم والتعليم تعليمهم، فلم يتغير إلا الاسم.

وإن تعجب فعجب أن ترى أن المسلم في كل خطوته وحركته صورة من ذلك المستعمر الذي تركه بلا رجعة، فإذا حكم بلداً كان حكمه مطابقاً لسياستهم، وإذا قضى بين الناس كان قضاؤه طبقاً لقوانينهم، وإذا علم أبناءه كان تعليمهم طبقاً للغرب، والحاصل أن فكره ومأكله ومشربه وملبسه وجميع شئون حياته مأخوذة من وحي أولئك المستعمرين الذي نهبوا أمواله وثرواته وجميع خيرات بلاده وبنوا لهم جنات وقصور ومقام كريم.

## ١ - سبب اختيار الموضوع:

من المعلوم أن السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وإن كنوزها لا زالت تحتاج إلى البحث والتنقيب لإخراجها للناس واضحة مفهومة، ولذلك شمرت عن ساعد الجد واخترت الموضوع (السنن والآثار في النهي عن التشبه بالكفار) لسببين:

أولاً: نظراً لواقع المسلمين في هذا العصر بحيث قد كثرت موافقتهم وتقليدهم لليهود والنصارى والمجوس في كثير من الأمور.

ثانياً: لبيان الحق في هذه المسألة لأن الناس بين إفراط وتفریط في هذه المسألة فمنهم من تجده يحرم مجرد تعلم اللغة الانجليزية ومنهم من تجده منغمساً في الحضارة الغربية، فلا تعرف أهو مسلم أم نصراني أو يهودي؟. ومنهم من لا يعطى لهذه المسألة أية أهمية.

فأردت أن أبين ما ورد في هذا الموضوع من أحاديث صحيحة وغيرها وأقدم دراسة وافية في ذلك ليكون المسلم على بينة من أمره فيعرف الحق من الباطل.

## ٢ - أهمية هذا الموضوع:

لقد حرص الإسلام كل الحرص على تكوين شخصية مستقلة للفرد المسلم وللمجتمع الإسلامي مستوحاة من الكتاب والسنة والسيرة النبوية، وحاول إبراز ذاتيته بحيث لا تكون تابعاً لأحد، ولا يكون المسلم إمعة يقلد بدون وعي ولا إدراك، ويكون فكره تابعاً لما قال الله وقال رسوله ﷺ، ونلاحظ ذلك في قوله ﷺ عندما رأى عمر يقرأ في التوراة: «والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو يباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان فيكم حياً ما وسعه إلا أن يتبعني». رواه أحمد والدارمي والبخاري<sup>(١)</sup>.

ولا يمكن أن يتخلص المسلمون من مركب النقص ومن إحساس غلبة الأعداء إلا إذا عادوا إلى الكتاب والسنة وتمسكوا بهما وجعلوا السيرة النبوية نصب أعينهم ومطمح أبصارهم.

(١) مسند أحمد ٣/٣٨٧، سنن الدارمي ١/٩٥، زوائد البزار للهيثمي ١/٧٨، قال الهيثمي: فيه مجالد بن سعيد، مجمع الزوائد ١/١٧٤، قال الحافظ «ليس بالقوي، وقد تغير في آخر عمره» التقريب ٢/٢٢٩، قال الألباني ولكن الحديث حسن عندي لأن له طرقاً كثيرة عند اللالكائي والهروري وغيرهما حاشية مشكاة المصابيح ١/٦٣.

## ٣ - لمحة تاريخية عن التشبه:

إن هذه المشكلة ليست وليدة عصرنا بل جذورها ترجع إلى أمد بعيد عندما طلب بنو إسرائيل من موسى أصناماً تشبهاً بالمشركين كما صورته القرآن الكريم: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا آلِهَةً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف: ١٣٨].

ثم نجد هذه الصورة نفسها في عهد الجاهلية عند العرب عندما تركوا الحنيفية، واتجهوا إلى الشرك فمن المعلوم أنه كانت توجد بقايا من دين إبراهيم عليه السلام، فغيره عمرو بن لحي وجاء بالشرك وذلك حينما ذهب إلى الشام ورأى أهلها يعبدون الأصنام، فأعجبه ما رأى وقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا له: هذه أصنام نعبدها، فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم: أفلا تعطوني منها صنماً، فأسير به إلى أرض العرب فيعبدوه، فأعطوه صنماً يقال له هبل، فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه<sup>(١)</sup>.

ويؤيده ما أخرجه السهيلي<sup>(٢)</sup> عن ابن إسحاق ثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أن أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول: «سمعت رسول الله ﷺ يقول لأكثم بن العيون الخزاعي: يا أكثم! رأيت عمرو بن لحي ابن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار فما رأيت رجلاً أشبه رجلاً منك به ولا بك به فقال أكثم: عسى أن يضرنى شبهه يا رسول الله؟ قال: لا إنك مؤمن وهو كافر، وإنه كان أول من غير دين إسماعيل، فنصب الأوثان، وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي.

(١) السيرة لابن هشام ٧٧/١.

(٢) الروض الأنف ٣٤٦/١ - وانظر الفتح ٥٤٩/٦.

وروى نحوه الطبراني<sup>(١)</sup> عن ابن عباس وأحمد<sup>(٢)</sup> عن ابن مسعود كلاهما مرفوعاً.

ولما بعث رسول الله ﷺ قضى على هذه الأصنام وساد الإسلام الجزيرة العربية ثم انتشر نوره إلى العالم كله، وعندما هاجر المسلمون إلى المدينة وجاوروا اليهود، خشي على المسلمين أن يقلدوهم ويتشبهوا بعباداتهم لأنهم أهل الكتاب فمنع الرسول ﷺ المسلمين منعاً باتاً من أخذ عادات اليهود وحث على مخالفتهم، حتى قال اليهود أنفسهم: «ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه»<sup>(٣)</sup>.

واستمر الوضع هكذا في عهد الخلفاء الراشدين وعندما اتسعت دائرة الفتوحات الإسلامية وسكن المسلمون بلاد العجم ازداد هذا الخطر فتنبه له عمر رضي الله عنه وكتب إلى ولاته وعماله يحذرهم ويقول: إياكم والتنعم وزى أهل الشرك<sup>(٤)</sup>.

ونلاحظ أن هذا الوضع استمر في عهد بني أمية حيث حافظوا على شخصيتهم المستقلة ولكن عندما بدأ اختلاطهم بالأمم الأخرى تطرق إليهم

(١) المعجم الكبير للطبراني ٣٩٨/١٠، قال الهيثمي: فيه صالح مولى التوأمة وضعف بسبب اختلاطه، وابن أبي ذئب سمع منه قبل الاختلاط وهذا من رواية ابن أبي ذئب عنه، مجمع الزوائد ١١٦/١، وصالح هو ابن نبهان المدني، قال الحافظ: صدوق اختلط بآخره، فقال ابن عدي: لا بأس برواية القدماء عنه كابن أبي ذئب وابن جريح. التقريب ٣٦٣/١.

(٢) مسند أحمد ٤٤٦/١، قال الهيثمي: فيه إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف. مجمع الزوائد ١١٦/١. قال الحافظ: لين الحديث، رفع موقوفات. التقريب ٤٣/١.

(٣) انظر فيما يأتي حديث رقم (١٣).

(٤) انظر حديث رقم ٦٧ الآتي.

الوهن واصطبغوا بصبغة الأجانب ودخل فيهم عادات وتقاليد ملوك نصارى الروم.

وفي عصرنا الحاضر نجد أن أكثر بلاد المسلمين كانت تحت سيطرة الأجانب ولم تستقل إلا في أوائل القرن الحالي، وقد ترك الاستعمار أثراً عميقاً على الشعوب الإسلامية وصبغها بصبغة الحضارة الغربية وهكذا انصهرت هذه البلاد في بوتقة الاستعمار ولا نجد لها استقلالاً إلا اسماً ورسماً.

### وجود هذه المشكلة في شبه القارة الهندية :

ونظراً لانتمائي إلى تلك البلاد ووجود إحساس شديد عند مسلمي الهند لمحاربة هذه الأفكار، أذكر نبذة عن وجود هذه المشكلة وتاريخها بإيجاز في شبه القارة الهندية.

لقد دخل الإسلام الهند بدخول القائد المسلم محمد بن القاسم الثقفي<sup>(١)</sup> في القرن الأول الهجري في السند، ولكن ابن القاسم وجيوشه لم تتغلغل في أعماق البلاد وانحصر نفوذهم في مقاطعة السند وما جاورها من الأقطار، فما امتدت أشعة ذلك النور الوهاج إلى داخل القطر إلا بعد ما امتلك ناصيته محمود الغزنوي<sup>(٢)</sup> (٣٥٧ هـ - ٤٢١ هـ) وكانت جيوشه

(١) هو محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، فاتح السند واليهما، من كبار القادة، ومن رجال الدهر في العصر المرواني. وولي السند في أيام الوليد بن عبد الملك من قبل الحجاج، وعزله سليمان بن عبد الملك وأمر بحمله من السند مقيداً، فحمل إلى واسط، وعذب بها، ثم أطلقه سليمان، ولكن قُتل ابن القاسم على يدي معاوية بن يزيد المهلب سنة ٩٥ هـ الأعلام للزركلي ٦/٣٣٣ - ٣٣٤.

(٢) هو محمود بن سبكتكين الغزنوي، دخل الهند من الجهة الشمالية من ممر خيبر الشهير بعد هجماته المتتالية وتوفي سنة ٤٢١ هـ. انظر نزهة الخواطر ١/٦٩ - ٧٤.

المتطوعة ممن دانوا بالإسلام حديثاً ولم يعن بتربيتهم وتدريبهم على المنهاج الذي يدعو إليه الإسلام وفيهم من الهنادك والوثنيين عدد لا يستهان به<sup>(١)</sup>.

والذين خلفوا الغزنين وجاءوا من بعدهم فاتحين وتبوؤا منصة الحكومة هم الغوريون<sup>(٢)</sup> الذين ما أسلموا إلا في القرن الرابع الهجري.

أما المغول<sup>(٣)</sup> الذين كانت لهم صولة ومنعة في البلاد لم يدخلوا دائرة الإسلام إلا في القرن السابع الهجري ولذلك هؤلاء الملوك الذين حكموا هذه البلاد بقوا مالكين لأزمة الأمور فيها زهاء ثمانية قرون لم ينفعوا الدعوة الإسلامية في قليل ولا كثير.

والذين أسلموا من سكان البلاد ودخلوا في دين الله من تلقاء أنفسهم أو بجهود الصوفية والوعاظ، لم تعن الحكومات المسلمة بتعليمهم وتثقيفهم، فكانت النتيجة أن الآلاف المؤلفة من الذين أسلموا ما انفكوا عاكفين على شعائرهم الدينية القديمة متسكعين في ظلام الشرك والوثنية، غير متزحزين مما كانوا عليه في جاهليتهم.

يقول الأستاذ مسعود الندوي: إذا سرحنا النظر في تاريخ ملوك الهند المسلمين وتأملنا في مجريات ممالكهم العظيمة ومعاركهم الدامية التي

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند لمسعود عالم الندوي ص ٦.

(٢) الغوريون: الغور مقاطعة من أفغانستان الحاضرة، ومنه ظهرت أسرة ملوك الغور الذين أقاموا أول دولة إسلامية في الهند، ويرجع الغوريون في أصلهم إلى التاجيك أي الأقوام المتكونة من الدمين العربي والإيراني يرجح أنهم أتوا الغور من خراسان فاستولوا عليه ثم أخذوا يعتدون على البلاد حتى ضربهم السلطان محمود الغزنوي. باكستان ماضيها وحاضرها للدكتور إحسان حقي ص ٥١.

(٣) المغول: هم من التتار وكان بابر - الحفيد الرابع لتييمور لنك - هو الذي قام بجيوشه لفتح الهند، وكانت الهند في دور النزاع الأخير آنذاك فلم تستطع الوقوف في وجه المغول فانهارت لسيطر المغول عليها وليقيموا امبراطورية إسلامية. باكستان - للدكتور إحسان حقي ص ٨٤ - ٨٥.

خاضوا غمارها وجدناها حافلة بجلائل الأعمال من الفتوحات وتشديد الحصون والمباني الشاهقة وترصيف الشوارع وتنظيم البريد وكبح جماح الثوار والطاغين وغيرها مما لو أتيح اليوم لأية دولة من أقوى دول العالم لكفاها مفخرة، ثم إذا نظرنا إلى أعمالهم وما أدته حكوماتهم من الخدمات في سبيل نشر الدعوة الإسلامية بعين المسلم التزيه لاعترانا الخجل والندامة و - أيم الحق - ما فعلوا لإعلاء كلمة الحق ورفع شأنها في البلاد الهندية عشر معشار ما جاءوا به من الأعمال العظيمة لتوطيد دعائم ممالكهم وقضاء لباتهم من شهوات الدنيا الدنيئة<sup>(١)</sup>.

لم يكن جميع ملوك الهند على طريقة واحدة فمنهم من أتى بأعمال تنم على حبه للإسلام ويقظته لما فيه صلاح المسلمين مثل محمد تغلق<sup>(٢)</sup> وفيروز تغلق<sup>(٣)</sup> وغيرهما من الملوك الصالحين.

وما زالت الحال كذلك حتى تبوأ عرش المملكة أكبر بن همايون بن بابر<sup>(٤)</sup> سنة ٩٦٣ هـ وبدأت الفتنة العمياء وطغى سيل الإلحاد، وذهبت بكثير من العلماء والمشايخ في سيلها الجراف، وذلك أن الملوك الذين مضوا قبل

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ص ٢٣.

(٢) هو محمد بن تغلق شاه التركي الدهلوي، ولد ونشأ بأرض الهند وكان أبوه من ممالك صاحب الهند، حكم الهند مدة من الزمن، توفي سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة. انظر نزهة الخواطر ١٢٦/٢ - ١٣٣.

(٣) هو فيروز شاه بن سالار رجب كان من بني أعمام محمد تغلق شاه ولد سنة تسع وسبعمائة، وتربى في حجر عمه غياث الدين وابن عمه محمد شاه، تولى الحكم بعد محمد تغلق سنة ٧٥٢، وكان ملكاً صالحاً وعادلاً، توفي سنة ٧٩٩ هـ.

انظر نزهة الخواطر ١٠٧/٢ - ١١٠.

(٤) هو محمد أكبر بن همايون بن بابر التيموري، أكبر ملوك الهند وأشهرهم في الذكر وأسعدهم في الحظ والإقبال ولد عام ٩٤٩ هـ، حينما كان والده طريداً في إيران بعد انهزامة أمام أحد ولاة الهند شير شاه، ثم رجع همايون واستولى على أكثر بلاد الهند =

أكبر، ما كانوا يصبون العدا للدين الحنيف وإن لم يكونوا من أنصاره ولكن عصر هذا الملك قد تفرد باضطهاد الإسلام والتضييق على المسلمين واختلاق بدع ومنكرات شنيعة وانتحالها على الدين المبين.

بدأ الملك أكبر بتنفيذ سياسته المعادية للشرع الإسلامي بعد اعتلائه سرير المملكة بقليل. أما الجهر بالإلحاد فقد شرع فيه منذ عام ٩٨٧ هـ ونادى بدين جديد اخترعه وسماه الدين الإلهي وجمع فيه جميع المذاهب السائدة في تلك الأيام من الإسلام والبوذية والهندوكية محاولاً التقارب بين المذاهب.

وهذه بعض منكراته وبدعه الشنيعة التي نفذها في عهده المشؤوم.

- ١ - أباح للمسلمين الجدد أن يرتدوا عن دينهم ويرجعوا إلى أديانهم السابقة.
- ٢ - ألغى الجزية على المشركين والضرائب التي كانت مفروضة على مواسم الهنادكة ومواطن اجتماعهم.
- ٣ - منع ذبح البقرة لتعظيم الوثنيين إياها وعبادتهم لها.
- ٤ - شارك في أعياد الهنادك ومواسمهم بل ضرب بسهم في العبادات والشعائر الخاصة بمن ينتمي إلى مذاهبهم.
- ٥ - منع الختان والتزوج من بنات العم والعمة والخال والخالة.
- ٦ - أباح الخمر وبيعها والزنا والربا والقمار.

= ومات سنة ٩٦٣ هـ. فتولى ولده أكبر الحكم وكان سنه حيثئذ نحو ثلاث عشرة، فحكم البلاد تحت وصاية أحد قواده. استمر حكمه على الهند أكثر من خمسين عاماً واشتهر بما جاء من بدع في الإسلام. مات سنة أربع عشرة وألف. انظر نزهة الخواطر للحسنى ٧٥/٥ - ٨١.

٧ - أسقط الغسل عن الجنابة وشجع السفور والخلاعة وأفتى بجواز نكاح المتعة .

٨ - منع تعليم اللغة العربية وبالغ في تطهير الفارسية من الكلمات العربية الخالصة .

٩ - ومن أكبر المنكرات التي فشت في عصر هذا الملك سجدة التحية للملك، فكان العلماء والمشايخ والصوفية والأمراء والأعيان كلهم كانوا يخرون للملك سجداً كلما دخلوا عليه الباب .

١٠ - ألغى بعض أركان الإسلام، منع الصلاة والأذان في دار الشورى الملكية وحظر على الناس صوم شهر رمضان وحج بيت الله الحرام . وما إلى ذلك من منكرات يندى لها الجبين من ذكرها<sup>(١)</sup> .

وهكذا ضرب هذا الملك بسهم كبير في نشر الإلحاد والضلال، حتى أصبح الإسلام غريباً في أهله، واختفى وجهه الحقيقي وسط هذه السحب الكثيفة من البدع والمنكرات، فبعث الله رجلاً من عباده الصالحين، فقام بواجب أفضل الجهاد ووقف أمام طواغيت عصره موقف الجبال الراسيات، فأحيا السنة وأمات البدعة ورفع لواء الإسلام وأعلى كلمته، ألا وذلك الرجل هو الإمام العارف بالله الشيخ أحمد بن عبد الأحد الفاروقي السرهندي الذي يلقب بمجدد الألف الثاني من الهجرة النبوية<sup>(٢)</sup> .

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ص ٧٠ - ٧٩ . نزهة الخواطر ٧٨/٥ .

(٢) هو الشيخ الأجل الإمام أحمد بن عبد الأحد بن زين العابدين، ولد سنة إحدى وسبعين وتسعمائة بسرهند، وأخذ أكثر العلوم عن أبيه واستفاد من شيوخ آخرين، لما فرغ من تحصیل ما تيسر له من العلوم وكان سنه حينئذ سبع عشرة سنة، اشتغل بالتدريس والتأليف، من مؤلفاته: رسالة في إثبات النبوة وأخرى في الرد على الشيعة الإمامية وكتب أخرى، وسجن في عهد الملك جهانكير بن أكبر لامتناعه السجود أمام الملك تحية له، وقام بصدع كلمة الحق أمام السلاطين وكان يأمرهم بما يراه =

وكان نتيجة نشر الإلحاد وإيجاد خليط من المذاهب بأن تأثر المسلمون من الحضارة الهندوكية وقبلوها وبدأت تأخذ مكانها في أذهانهم ثم في عاداتهم وتقاليدهم وبحكم مساكنتهم الهنادكة رسخت هذه العادات والتقاليد في المسلمين ونرى ذلك بوضوح في جميع المناسبات وخاصة في الأفراح والأعياد، والمآتم، ولا زالت توجد بقايا من هذه التقاليد في مسلمي الهند وباكستان.

وقد واجه الاستعمار البريطاني عدة ثورات وانتفاضات من الشعب الهندي قبل الاستيلاء على الحكم في الهند رسمياً عام ١٢٧٥ هـ وبعدها وكاد أن يذهب ريح الإنكليز لو لم يجدوا من أهل الهند من يساندتهم ويضم صوته إلى أصواتهم ومن أبرز هؤلاء المؤيدين: المتنبىء الكذاب غلام أحمد القادياني<sup>(١)</sup> وسيد أحمد خان<sup>(٢)</sup> مؤسس كلية على كره.

= معروفاً وينهى عن ضده ولا يخشى في الله لومة لائم، ولا يخاف من ذي سطوة في سلطانه، فنفخ الله كثيراً منهم بذلك وصلحت بصلاحتهم الرعية.

وكان وفاة الشيخ أحمد سنة أربع وثلاثين وألف بمدرسة سرهند، فصلى عليه ابنه محمد سعيد ودفنه بها. انظر ترجمته مفصلاً في نزهة الخواطر ٤٣/٥ - ٥٥.

(١) هو غلام أحمد بن غلام مرتضى بن عطا محمد القادياني، ولد في قرية قاديان (البنجاب) عام ١٨٣٩ م ودرس قليلاً من الفارسية والعربية وادعى النبوة عام ١٩٠٠ م وألف كتباً كثيرة لإثبات نبوته ومات في لاهور عام ١٩٠٨ م شرميتة بعد أن أصيب بالكوليرا. مذكرة الأديان للشيخ عبد القادر شيبه الحمد ص ٨٦ - ٩٢. وانظر القاديانية للشيخ إحسان الهي ظهير.

(٢) هو أحمد بن المتقى به الهادي بن عماد بن برهان الحسيني التقوى الدهلوي ولد سنة ١٢٣٢ هـ بدلهي، ودرس العلوم السائدة في ذلك العصر من العربية والمنطق والفلك والهندسة، وله عدة مؤلفات منها رسائل لبيان أسباب الثورة والخروج وصنف تفسير الإنجيل وسماه تبيين الكلام واجتهد فيه في تقريب دين الإسلام إلى دين النصراني، وتفسيراً للقرآن، وكتباً أخرى. أسس كلية على كره التي أصبحت فيما بعد جامعة، توفي السيد أحمد خان عام ١٣١٥ هـ ودفن بجوار مسجده الذي بناه في وسط الجامعة.

انظر للتفصيل نزهة الخواطر للعلامة عبد الحي الحسنى ٣٠ / ٨ - ٣٧.

ولا مجال هنا لذكر دور المتنبيء القادياني ولكن أذكر هنا ما قام به سيد أحمد خان لمساندة الاستعمار وتقليد الأوروبيين ومخالفة العلماء المسلمين .

يقول الأستاذ أبو الحسن علي الندوي<sup>(١)</sup>: لقد تأثر سيد أحمد خان بالانجليز تأثر المغلوب بالغالب والضعيف بالقوي وقلد حضارتهم وأساليب حياتهم شخصياً وصار يدعو إلى هذا التقليد في حماسة وقوة ويرى أن هذا التقليد والظهور في مظهر سيد البلاد ومجاراته في الحياة والعادات تزيل الهيبة من قلوب المسلمين وتعالج مركب النقص فيهم، وترفع مكانتهم في عيون الولاة ورجال الحكومة وتضعهم في مكان الزملاء، الشركاء في الحياة، الأقران في الاجتماع، يدل على هذه الفكرة دلالة واضحة ما جاء في بعض مقالاته يقول:

«لا بد أن يرغب المسلمون في قبول هذه الحضارة (الغربية) بكمالها، حتى لا تعود الأمم المتحضرة تزدريهم أعينها ويعتبروا من الشعوب المتحضرة المثقفة»<sup>(٢)</sup>.

ويقول في كتابه طعام أهل الكتاب حاثاً على التشبه بالانجليز في عاداتهم وأساليب معيشتهم، وهذا نص كلامه باللغة العربية<sup>(٣)</sup>:

«فيا أيها المسلمون تعاملوا عليها لا على نية العجب والتكبر بل على نية ترفع حال المسلمين لئلا ينظرهم قوم (أوربيون) بنظرة الحقارة مما اعتادوا من الذلة والمسكنة، إن الله يعلم ما في صدورنا ويحكم علينا بما في قلوبنا من حسن النية أو غيره».

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية ص ٧٢ .

(٢) مقالات سرسيد ترتيب محمد إسماعيل باني بتي ١/٢، والترجمة من كتاب الأستاذ الندوي المذكور ص ٧٢ .

(٣) مقالات سرسيد ١/٣٤٧ .

فكان سيد أحمد خان أول من قام من المسلمين بهذه الدعوة بعد ثورة ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧ م) ووقف حياته ومواهبه للسعي وراء إنجاحها وألف لذلك جميعات وأصدر مجلة (تهذيب الأخلاق) لبث أفكاره ونشر آرائه الحديثة العصرية في هذا الشأن وزار إنجلترا وفرنسا وشاهد هناك أوج الحضارة الغربية، ونظير خدماته للاستعمار منحه الإنجليز لقب السير.

والسبب في دعوته - كما يقول الأستاذ مسعود الندوي<sup>(١)</sup> - أنه قد استولت على قلبه ومن حذا حذوه هيبة أوربا العلمية وأساليبهم المزخرفة في التحقيق والبحث فجعلوا يحسنون الظن بكل ما يأتي من أوربا من علم أو نظرية وأرادوا أن يطبقوا روائع محكمات القرآن ومعجزاته عليها، كأنهم افترضوا في أذهانهم أن كل ما يأتي به هؤلاء القوم قضايا مسلمة لا يتسرب إليها أدنى شك ولا ريب». وكان سيد أحمد خان قد ألف تفسير القرآن وأتى فيه بكل جديد وحاول أن يفسر الآيات موافقاً لآراء الإنجليز ونظرياتهم المتغيرة المتجددة وإن لم يجد فيها ما يشفي غليله عمد إلى تحريف الآيات وإلباسها معاني جديدة توافق أهواءهم وأغراضهم وهكذا فعل في كل مسألة عارضت فيها أقوالهم كتاب الله. اهـ.

وهكذا فتح سيد أحمد خان وأعوانه باباً عظيماً للفتنة وجنوا على الدين جناية لا تغتفر، ولم تنته فكرته التجديدية وما قل نفوذها بعد وفاته بل رسخت جذورها واستوثقت عراها بتأسيس كلية على كره وأخواتها، لأن القائمين عليها ومتخرجيها وطلبتها جعلوا فكرة قائده نصب أعينهم ومطمح أبصارهم.

فذلكم لمحة تاريخية عن تطور هذه المشكلة في شبه القارة الهندية وقد ساعد الاستعمار في إشاعة هذه الأفكار ودعايتها ونجح في ذلك أيما نجاح.

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ص ١٨٧.

وخلاصة القول أن انعدام الوعي الإسلامي لدى الملوك المسلمين بل محاربة بعضهم الإسلام ونشر الإلحاد ثم وجود الاستعمار وأعوانه له أكبر الأثر في انحراف المجتمع الإسلامي عن الطريق المستقيم، ولولا لطف الله بعداده وتوفيقه لبعض المصلحين الذين أصلحوا ما أفسده الناس لكانت هذه البلاد بقيت في الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء.

فالحمد لله على نعمائه وآلائه .

#### ٤ - مميزات الشريعة الإسلامية :

إذا أمعنا النظر في أحوال الأنبياء السابقين وتعاليمهم وجدنا أن بعثتهم كانت لفئة معينة من الناس، وبعضهم من أرسل لتجديد شرعة سابقة وتبع بعضهم بعضاً ولم ينسخ شريعة أحدهم أحداً.

ولكن شريعة نبينا محمد ﷺ تختلف تمام الاختلاف عن الشرائع السابقة فإنها تمتاز بسابقتها بأنها عامة، وأنها كاملة وشاملة، وأنها ناسخة للشرائع السابقة . إلا ما وافق شرعنا .

فالميزة الأولى للدعوة الإسلامية هي أنها عامة :

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) وقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ قُلْ يَتَّابِعُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٤) .

(١) سورة سبأ: الآية ٢٨ .

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧ .

(٣) سورة الفرقان: الآية ١ .

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٥٨ .

فهذه الآيات يستفاد منها ما يأتي :

١ - إن دعوة محمد ﷺ ليست محدودة بزمن من الأزمان أو بأمة من الأمم أو بناحية من نواحي الأرض وإنما هو ﷺ زعيم الإنسانية وإمامها الأعظم ما دامت السماوات والأرض .

٢ - إن النوع البشري بأجمعه مكلف للإيمان برسالته وتصديقه واتباعه .

٣ - وأن ليس للنوع البشري أن ينال الرشد والهداية إلى صراط الله المستقيم ما لم يؤمن برسالته ﷺ .

وكل هذه الأمور الثلاثة من أركان الإيمان في الإسلام، ولا تقوم عالميته وأفاقته الأعلى أساس هذه العقيدة .

والميزة الثانية: أن هذه الشريعة كاملة وشاملة لجميع نواحي الحياة، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ ۗ ﴾<sup>(١)</sup>. وقوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۗ ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال الأستاذ المودودي<sup>(٣)</sup>: والنتيجة اللازمة المنطقية لكمال الدين وتمام النعمة هكذا أن تنقطع صلة الإنسانية عن سائر الرسالات والنبوات السابقة في طاعتها واتباعها وأن تتوقف سلسلة الرسالة، والنبوة بالنسبة للمستقبل، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۗ ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الفتح: الآية ٢٨ .

(٢) سورة المائدة: الآية ٣ .

(٣) انظر الحضارة الإسلامية، أسسها ومبادئها للأستاذ المودودي باختصار ص ١٩٢ -

١٩٥ .

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٤٠ .

قلت: وإن كتب الشمائل وكتب الحديث لخير دليل على شمول هذه الشريعة، لأنها لم تترك شاردة ولا واردة من سيرة الرسول ﷺ إلا وذكرتها، وذلك ليقدم للعالم أسوة تتبع ومثلاً يقتدى وأنموذجاً يحتدى وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢١) (١).

والميزة الثالثة: إن شريعة محمد ﷺ ناسخة للشرائع السابقة وأن كل ما جاء به الأنبياء السابقون وعرضوه على الإنسانية، ودعواها إلى اتباعه قد نسخ برسالة محمد ﷺ.

ولا شك أن الإيمان بنبوتهم وصدق دعوتهم على وجه الإجمال أمر لا بد منه إذ ما كانوا جميعاً إلا دعاة إلى الإسلام ولكن مع ذلك فقد انقطعت عنهم صلة الإنسانية في طاعتها واتباعها فعلاً، وإنما ارتبطت برسالة محمد ﷺ وتعاليمه وأسوته الحسنة لأنها لم تعد بحاجة إلى الناقص بعد أن جاءها الكامل، وكما أن الشرائع السابقة قد لعبت فيها يد التجريف والإهمال ولم يعد من الممكن أن تتبعها الإنسانية، ولأجل هذا فإن القرآن يأمر بالإيمان بمحمد ﷺ وطاعته واتباع شريعته حتى الأمم المؤمنة برسالة نبي من الأنبياء السابقين، قال تعالى: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٦) (٢).

فإذا كانت شريعة هذا شأنها، فمن العار أن يمشي أتباعها وراء كل ناعق ويقلدون أعداءهم - ولعمر الحق - إن هذا لهو الخسران المبين.

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

(٢) سورة المائدة: الآيتان ١٥ - ١٦.